المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

مديرية الشؤون الإسلامية



الدروس الحسنية

نص المحاضرات التي ألقيت في التفسير والحديث بحضرة
صاحب الجلالة والمهابة الملك المعظم أمير المومنين مولانا
الحسن الثاني نصره الله وأيده في شهر رمضان المبارك
عام 1395 هجري

الدرسُ الأول | 4 رمضان المبارك 1395

موضوعه:

مُعْجِزة القُرآن الكريم

"مَا مِن نبي من الأنبياء إلاّ أُعطي مِن الآيات ما مثله آمن عليه البَشر ..."

الحديث

ألقاه:

العلامة الأستاذ عبد الله كنون
أمين رابطة العلماء بالمغرب



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بســم الله الرحمن الرحيــم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبى المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ولا حول ولا قــوة الا باللــه العلى العظيــم . أما بعد : فان اصدق الحديث كتاب الله عز وجل ، وافضل الهــدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعــة وكل بدعــة ضلالـــة .

وما شرب الايمان الا فــؤاد من   بأخبار خير الخلق قد ملأ الاذنــا

* * *

وهل يترك الانسان عذرا وحجة   اذا قال قلــدت النبى محمــدا

وروينا بالسند المتصل الى الشيخ الامام الحافظ الحجة ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله تعالى ورضى عنه قال فى كتاب فضائل القرآن : الباب الاول ــ الحديث الرابع ــ حدثنا عبــد الله بن يوسف حدثنا الليث حدثنا سعيد المقبرى عن ابيــه عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء ... الحــديــث .

الدرس الذى نفتتح به هذه الدروس المباركة عن الامر المولوى اسماه الله يتعلق بالحديث الصحيح الذى ورد فى معجــزة القــرآن الباقية والمستمرة على مدى العصور والازمان ، وسنقتصر فى شرحه على ثلاثة مباحث : المبحث الاول : فى تخريجه وسنده .

والمبحث الثانى : فى تحليل ألفاظه وما اشتمل عليه من نكـــات بلاغيـــة دقيقـــة .

والمبحث الثالث : فى معناه الذى هو معجزة عظيمة للناطق به ، سيدنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وشرف وكـــرم ومجـــد وعـــظـــم .

خرج هذا الحديث الامام البخاري فى موضعين من صحيحـــه ، فى كتاب (فضائل القرآن) ، وفى كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة) واخرجه الامام مسلم فى كتاب (الايمـــان) واخرجه الامام احمـــد فى مسند ابى هريرة وقال الحافـــظ القسطلانى : اخرجـــه النسائى فى تفسير القرآن ، وكتاب فضائل القرآن ، والامام البخارى على عادته رواه فى كتاب فضائل القرآن عن احد اشياخه ، وفى كتاب الاعتصام عن شيخ آخر ، والامام مسلم اخرجه عن شيخ ثالث ، والامام احمد اخرجه عن شيخين . لكن الجميع يتصل بالليث والليث يتصل بسعيد ابن ابى سعيد المقبرى الذي يرويه عن ابيه عن ابى هريـــرة . فمدار هذا الحديث فيما وقفنا عليه من الصحابة على ابى هريـــرة ، ومن بعده فى التابعين على ابى سعيد المقبرى وابنـــه سعيـــد وكلاهما من التابعين ومن بعدهما على الامام الليث ثم بعد ذلك تفرع وانتشر على يد مشايخ البخارى والامام احمد والامام مسلم ، فالبخارى هنا رواه عن عبد الله بن يوسف التنيسى العدل الثقـــة الذى هو من اثبـــت الناس أو اثبت الناس فى الموطأ كما عرفوه ، ورواه فى كتاب الاعتصام عن عبد العزيز بن عبد الله الاويسى ، والامام مسلم رواه عن قتيـــبة ابن سعيد عن الليث أيضا ، واحمد عن يونس وحجاج عن الليـــث ثـــم الليث عند الجميع يرويه عن سعيد بن ابى سعيد وابو سعيد يرويـــه عـــن ابـــى هـــريـــرة .

فهو بهذا من احاديث الافراد أو ما يسمى فى الاصطلاح بالغريب

وما روى اثنان يسمى بالعزيز   وما روى الواحد بالغريب ميز (1)

نظيره فى ذلك حديث انما الاعمال بالنيات الذى افتتح به البخارى رحمه الله جامعه الصحيح ، فانه يدور فى الصحابة علــى عمــر بن الخطاب وفى التابعين على علقمة الذى روى عن عمر ، وعلى محمد ابن ابراهيم التيمى التابعى ايضا الذى روى عن علقمة ، وعلى يحيــى ابن سعيد الانصاري من أتباع التابعين أيضا الــذي رواه عن محمد بن ابراهيم التيمى ثم بعد ذلك تفرع ، رواه عنــه سفيــان وغــيره ، وسفيان رواه عنه الحميدى شيخ البخارى وهكذا ، فهو ايضا غريب .

ومن المعلوم أن الغرابة لا تناف الصحة فيكون الحديث صحيحا وهو غريب ، غاية الامر ان روايته ثابتة من طريق أفراد ، كمــا ان ما يثبت برواية راويين يسمى عزيزا هذا يسمى غريبا ، وكما يكون الغريب فى الصحيح يكون فى الحسن ، ناهيك بأن هذا الحديث كمــا رأينا رواه الامام البخارى فى موضعين بسندين بالنسبة لشيخيــه وكذلك مسلم وكذلك الامام احمد فهو من الصحة بمكان ، بل اجتمعت فيه شروط البخارى التى هى أدق واضبط الشروط ، حيث قال حدثنا عبد الله بن يوسف : حدثنا الليث وناهيك بالليث فهو الامام الليث بن سعد امام أهل مصر ونظير الامام مالك فى العلــم والفقــه بل قــال الشافعى فيه : الليث افقه من مالك الا ان قومه ضيعوه . والليــث روى عن سعيد بن ابى سعيد المقبرى ، وسعيد بن ابى سعيد روى عن ابيه وكلاهما من التابعين ومن علماء التابعين الاجلة الثقــات ، ناهيك ان سعيد بن ابى سعيد يروى عن ابى هريرة مباشرة ، ويروى عن ابيه ، فالاحاديث التى يرويها عن ابى هريرة مباشرة يرويهــا مباشرة والاحاديث التى يرويها بواسطة أبيه يرويها بواسطة أبيه ، ولا يدلس ، ولا يقول عن ابى هريرة ، وكفى بذلك ضبطا وتحريــا ،

(1) مــاض مبنــي للمجهــول .

والعنعنة فى الحديث لما وصلت الى سعيد وابيه ليست مما يخل بشرط البخارى لان سعيدا ووالده كلاهما متعاصران ولقى احدهما الآخر وكلاهما ايضا معاصر لابى هريرة ولقياه ورويا عنه ، فثبتت المعاصرة واللقى والتحديث وصيغة التحمل بحدثنا التى هى اعلى الصيغ فلم يبق حول هذا الحديث أى شبهة .

أما ابو هريرة وناهيك به فهو الصحابى الجليل ، والصحابة كلهم عدول عندنا معشر أهل السنة ولكن بما أن ابا هريرة رضى الله عنه قد تعرض لبعض الطعن والتجريح فيما سبق وفى العصر الحاضر من بعض خصوم الاسلام وأذنابهم ، فاننا نحب أن نقف وقفة قصيرة عند ترجمته رضى الله عنه ليحق الحق ويبطل الباطل ، ولا سيما فى هذا المجلس الحسنى الشريف ، فأبو هريرة رضى الله عنه يسمى عبد الله على القول الصحيح كما روى عنه ابن خزيمة بسند صححه ابن حجر او عبد الرحمان كما رواه ابن اسحاق فى المغازى وفى اسمه اقوال عديدة بلغت الى ثلاثين ونيف ، لكن هذا أى عبد الله أصحها ، وعبد الرحمان أشهرها ، وكان اسمه فى الجاهلية عبد شمس ، اما كنيته التى طغت على اسمه حتى تنوسي اسمه فهى أبو هريرة وسببها أنه رأى هرة صغيرة فى الطريق فحملها فى كمه ، فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فكناه بها ، وقد أسلم سنة سبع للهجرة ، ومات سنة تسع وخمسين من الهجرة عن سن تبلغ ثمانية وسبعين عاما ، وأهم ما اشتهر به ، واعظم مناقبه انه حافظ السنة وراوية الحديث الذى لا يشق له غبار والذى لم يرو احد ما رواه ، فهو احد المكثرين بل هو الذى يأتى فى أول قائمة المكثرين والمكثرون من المحدثين هم افراد من الصحابة روى كل واحد منهم عن النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من ألف حديث وهم أبو هريرة طبعا ، ويأتى فى راس القائمة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعائشة وأبو سعيد الخدرى ، واليهم أشار بعضهم بقوله :

سبـــع من الصحب فوق الالـــف قـــد نقلـــوا
مـــن الحـــديـــث عن المخـــتـــار خير مـــضر

أبـــو هـــريـــرة ســـعـــد جـــابـــر أنـــس
صديقهـــم وابن عبـــاس كـــذا ابـــن عمـــر

وإن كان فيما ذكره هذا الناظم من الصديق نظـــر لان الصديق رضى الله عنه لم يرو عنه على الاصح الا مائة واربعون حديثا لانه مـــات قبل أن يعنى الناس بالحديث ، ويكثر طلبه ويدون ، وكذلـــك بقيـــة كبار الصحابة ، فلعل فى البيت تحريفا وأصله :

ابو هريرة سعد جابـــر أنـــس   صديقة وابن عباس كذا ابن عمر

أما ابو هريرة وناهيك به فان مرويه عن النبى صلى الله عليه وسلم كما قال الحافظ بقي بن مخلد فى مسنده : بلـــغ خمســـة آلاف وثلاثة مائة حديث واربعة وسبعين حديثا له منها فى الصحيحين 609 وفى المسند نيف و 4000 . فهذا الرقم الضخم لم يرو لاحد من الصحابة بل لم يرو لجمع من الصحابة ولعدد منهم مجتمعين ، وهذا ما أثـــار حفيظة الناس عليه عن طريق المنافسة من الذين لا يمكن أن نصفهـــم الا بالمنافسة فقط ، وعن طريـــق البغض والكراهيـــة للاسلام ولمـــا رواه مما يهدم اقوالهم وآراءهم ومذاهبهم ، فأما فى حياته فان بعض الصحابة كانوا يستكثرون عليه هذه الروايات الكثيرة وهذه الاحاديث العديدة ، حتى بلغه ذلك فقال كما فى الصحيح : ان الناس يزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله الموعد ، أى والله الموعود بيني وبينهم واني كنت رجلا مسكينا الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنى وان اخوانى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق أى البيـــع والشراء أى كانوا تجارا ؛ وان اخوانى من الانصار كان يشغلهـــم القيـــام علـــى أموالهم يعنى ضيعاتهم لانهم كانوا فلاحين ، وانى شهدت رســـول الله (ص) ذات يوم ، وقال من يبسط رداءه حتى أقضى مقالتى ثـــم

يقبضه لن ينسى شيئا سمعه منى ابدا ، فبسطت بردة كانت علي ثم ضممتها فو الذى بعثه بالدق لم أنس شيئا سمعته من قبل ، وعائشة رضى الله عنها ، اشتبهت فى هاته الاحاديث الذى يرويها ، وقالت : هل حضر الا ما حضرنا وسمع الا ما سمعنا ، فأجابها بجواب لا نحب أن نذكره هنا ، لكنها بعثت ابن اختها عروة ابن الزبير فسأله عن بعض الاحاديث ثم بعد ذلك بمدة بعثت تستفسره عن هذه الاحاديث أيضا بالواسطة فحدث بها كما حدث بها أول مرة ، فقالت : حفظ ابو هريرة ونسينا وناهيك بها ، بل ان كثيرا من الصحابة احتاجوا اليه والى ما يرويه بعد فشو الاسلام وطلب العلم والحرص على السنة والرغبة فى تدوينها فروي عنه فيما يقول الحاكم ثمانية وعشرون من الصحابة أحاديث لم يرووها عن النبى (ص) منهم زيد بن ثابت وناهيك به ومنهم ابى بن كعب ، ومنهم عائشة نفسها ومنهم جابر ومنهم أنس ومنهم المسور بن مخرمة ، ومنهم أبو الطفيل ومنهم ابو نضرة . . وغيرهم فرواية كبار الصحابة عنه رضى الله عنه تشهد له بالحفظ والضبط والثقة ولكن نشأ فى صدر الاسلام ناشئة ابتدعت بدعا وأتت بمذاهب ينكرها الاسلام ، وكانت الاحاديث التى تروى عن ابى هريرة رضى الله عنه هى التى يرد بها عليهم فلذلك نجد الحافظ أبا بكر بن خزيمة يقول : لا يبغض ابا هريرة ولا يتكلم فيه الا جهمي معطل أو قدرى معتزل أو خارجى يحمل السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويحتقن دماء الذميين ولا يرى طاعة امام ولا خليفة لان ما رواه ابو هريرة كله مما يرد به على هؤلاء .

وبعد مضى الزمن وانتهاء هذه الطوائف والفرق خلصت هذه الاقوال لبعض المستشرقين المغرضين مثل جولد زهير وغيره فتحامل على أبى هريرة ووصمه بالوضع وبالكذب وطعن فيما رواه وتلقى هذه الاقوال بعض الكتاب من العرب الذين يسبحون فى فلك هؤلاء المستشرقين ولا يكلفون نفسهم البحث فى المصادر التي بين أيديهم والتي منها أخذ المستشرقون ، أخذوا منها الجانب المظلم وتركوا الجانب المضىء ، فكتب فى أبى هريرة كتابا كله طعن وتجريح ونحن نقول لهذا الكاتب : انه بعد رواية الصحابة عن ابى هريرة وتزكيتهم له قطعت جهيزة قول كل خطيب ، وننشد ما قاله الشاعر :

اذا رضيت عني كـــرام عشيرتـــي فلا زال غضبانا على لئامهـــا

هذا هو أبو هريرة راوى هذا الحديث الذى هو من أجل الاحاديث التى تبرز معجزة النبى صلى الله عليه وسلم الكبرى الى جانب معجزاته الاخـــــرى .

فقوله صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء نبـــي : هذه صيغـــة تفيد العموم بتركيبها على المعروف عند النحاة من أن النكرة اذا وقعت فى سياق النفى فهى للعموم فلفظ نبى هنا جاء نكرة بعد نفـــي فافـــاد ان كل واحد من الانبياء أعطى ما مثله آمن عليه البشر وما هنـــا هى المفعول الثانى لأعطى ومثله مبتدأ وآمن هو الخبر والجملة صلـــة ما أى اعطى الامر الخارق للعادة الذى نعبر عنه بالمعجزة الذى آمن عليه نفسه أو على مثله البشر الذين شاهدوه وكذلك هي المعجـــزة لا يبقى لمن شاهدها معارضة ولا يستطيع معها الا أن يذعن ويسلم ويؤمن بالنبى الذى أتى بها الا من آمن واستكبـــر كما قـــال تعالـــى « وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا » وأما فى باطنه فانه لا يمكن أن يستنكر فعالية تلك المعجزة ، ودلالتها على صدق الرسول أو النبى الذى أتى بها ، وفى الحديث دليل على أن كل نبى نبى أوتى معجزة سواء كان رسولا أو لم يكن رسولا ، وهو أمـــر معقـــول لان أحدا لا يصدقه فى قوله أنه نبى مخبر عن الله ولو بالشرع الذى كان قبله الا اذا أتى بمعجزة وهاهنا أشكال وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم : (ما مثله آمن عليه البشر) تخبـــط بعض الشراح فى ذلك ، فقالوا : ان ، مثل هنا واقعة موقع الشىء الذى آمـــن عليه نفســـه البشر ، فمثله بمعنى المعجزة نفسها ، وقال آخرون : ما مثله آمـــن عليه البشر ، أى ما كان معجزة لنبى سابق وأوتيها أيضا النبى اللاحق فكان أن آمن عليه البشر فيما سبق ، وآمن عليه البشر فيما لحق .

وقال آخرون : ما مثله آمن عليه البشر أى مـــا كان يمكـــن أن يكون له تمثيل وتخييل من المدعوين أو غيرهم ولكنه مع ذلك آمـــــن عليه البشر بعد وقوفهم على انه ليس من قبيل التمثيل والتخيـــيـــل ، أما ما أوتيه النبى صلى الله عليه وسلم ، فليس مما يتعرض للتمثيل ولا للتشبيه لانه وحي يوحي . . . الـــخ .

وهذا كله ناشىء عن الغفلة عن دقيقة بيانية فى هذا التعبير وهى من البلاغة بمكان ، لان العرب تعبر بالمثل وتريد ذات الشىء نقول الآن : انا على مثل اليقين وأقصد بذلك : انا على يقين تام ، وانما نقول على مثل اليقين للتأكيد على اني على تمام اليقين ، فالزيادة هنا التأكيد ، وهكذا كما فى قوله تعالى : ليس كمثله شىء ، فان النحاة قالوا : الكاف هنا زائدة ، والتقدير ليس مثله شىء . كما يقول ابن مالك : شبه بكاف وبها التعليل قد يعني وزائدا لتوكيد ورد لكن المتكلمين والمفسرين وعلماء البلاغة لم يقولوا بزيادتها وقالوا انها اصلية هنا والكلام خارج مخرج الكناية والكناية أبلغ من التصريح كما هو معلوم ، فان المقصود انه ليس مثل مثله سبحانه وتعالى شىء ، ومثله تعالى لا يوجد وانما فرضناه للحكم عليه ، والمحال يفرض ، فقلنا ليس مثل مثله شىء ، ونفينا ان يكون لهذا المثل المفروض مثل ، ونفي ان يكون لهذا المثل المفروض مثل هو نفي لذلك المثل نفسه ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء اللازم ، فصار دليلا على انتفاء المماثلة بطريقة تدريجية مركبة وذلك أبلغ فى التعبير وهى المعبر عنها بالكناية ، يقال فلان كثير الرماد كناية عن كونه كريما ، لانه يكثر الطبخ ويكثر الاطعام للضيوف فيكثر رماده فيكون حينئذ كريما ، ويقال فلان طويل النجاد ، معناه انه طويل القامة لان الحمالة تكون على قدر قامة الانسان فلا يحمل الحمالة الطويلة الا اذا كان طويلا ، وهكذا ، وفى التلخيص للقزوينى : ومما يرى تقديمه كاللازم لفظ مثل وغير فى نحو قولك مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود . فقولك مثلك لا يبخل مما تقوله العرب تنفى البخل عن مثل المخاطب الذى قدر كأنه نظير له على وفق صفاته ، فاذا نفي البخل عن مثله فهو منفي عنه قطعا ، والمقصود هو ذلك المخاطب لا المثل ، بدليل قوله : وغيرك لا يجود ، فتعقيبه بعبارة « وغيرك لا يجود » دليل على ان المقصود هو المخاطب . فهذه هى الكناية الموجودة فى قوله صلى الله عليه وسلم : « ما مثله آمن عليه البشر » يعنى ما يومن البشر على مثله فاحرى عليه ، فلذلك تكون كلمة مثل هنا واقعة موقع المبالغة لانها من باب الكناية . واغرب (الأبي) رحمه الله على تحقيقه وعمق فهمه فقال : « ما مثله آمن عليه البشر » ان هذه الآيات كانت من الآيات البينات

الظاهرات أى ما نعبر عنه الآن بالامور المادية المحسوسة فلما رآها الناس لم ينفعهم الا أن يؤمنوا ولم يسعهم الا أن يتبعوا النبى الذى جاء بها بخلاف القرآن فانه ليس كذلك وهو دليل عقلى فلا يؤمن بـــه الا القليل من الناس وكون النبى صلى الله عليه وسلم كمـــا سيأتي فى آخر الحديث اكثر الانبياء اتباعا انما ذلك كرامة له من عند الله . وهذا غريب منه فانه لا يوافق سياق الحديث ولا يوافـــق العبـــارة المستعملة هنا ، والتى جاءت على طريق الكناية وقلنـــا انها أبلـــغ مـــن التصريـــح .

فالخلاصة أن قوله صلى الله عليه وسلم : ما من الانبـــياء نبي أى ان كل الانبياء أوتوا معجزات آمن عليها البشر بالقوة وبالغلبة ، وقد أخذنا هذه القوة ، وهذه الغلبة من قوله : مـــا مثله آمن عليه البشر فان السياق للباء أو اللام بحيث يقال ما مثله آمن بـــه البشر أو ما مثله آمن له البشر أو لاجله البشر لكنه عدل عن الحرفين معـــا الى على ، فقال : ما مثله آمن عليه البشر ، لان على تفيد الاستعلاء والغلبة فكأنه يقول : آمنوا مرغمين طائعين مضطرين لانهـــم لـــم يستطيعوا أن يردوا هذه الآية وهذه المعجزة ، ولا أن يستعصوا عليها ولا أن يتمردوا الا من كان ذلك منه عنادا واستكبارا ، كما قال تعالى « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » فلذلك عبر بعلى ولم يعبر باللام ولا بالباء وهى نكتة بيانية أيضا ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : (وانما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه الله الي) ، معروف أن انما فى العربية أداة حصر ويقال أيضا أداة قصر ، تحصر الصفـــة فى الموصوف وتحصر الموصوف فى الصفة على ما هو معروف فى القصر من كونه قصرا حقيقيا أو قصرا اضافيا ، قصر صفـــة على موصوف أو قصر موصوف على صفة ، ثم هو اما قصر افراد أو قصر تعيـــين أو قصر قلب . . . الخ . فانما على كل حال تفيد القصر ، ومعنى القصر هنا أو الحصر : انى لم أوت الا وحيا أوحاه الله الي ، وهذا يخرج المعجزات الاخرى التى أوتيها النبى صلى الله عليه وسلم . وهـــذا ليس بمراد قطعا ، وان تمسك به بعض المغرضين الذين صاروا الآن يستنكفون من ان يثبتوا للنبى صلى الله عليه وسلم معجزات مثـــل

معجزات الرسل والتى كانت وحدها دليلا على نبوتهم ، ومـا تزال الامم العديدة تؤمن برسالتهم لتلك المعجزات التى أوتوها فنأتى نحن وننفى عن النبى صلى الله عليه وسلم معجـزات من هذا القبيـل ، معجزات مادية أوتيها وكانت قوية وواضحة وظاهرة وأدلتها من اقطع واثبت وأصح الادلة فكيف نسكت عنها ، وكيف نؤمن بمعجزات عيسى وموسى وابراهيم عليهم الصلاة والسلام ولا نومن بمعجزة نبـينـا ، وهؤلاء الكتاب الذين يستنكفون من أن يثبتوا للنبى صلى الله عليـه وسلم هذه المعجزات بل هم فى بعض الاحيان ينكرونها ويستدلون ببعض الآيات التى كان العرب يطلبون فيها من النبى صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فيقول ان الله قادر على أن ينزل آية يقولون انه قادر ولكنه لم ينزلها ، وهذا بهتان عظيـم .

ان النصارى لا يستنكفون أن يذكروا معجزات عيسى ، واليهـود لا يستنكفون أن يذكروا معجزات موسى ونحن نستنكف أن نذكر هذه المعجزات ونقتصر على معجزة القرآن لمن يقتصرون عليها ويستدلون بما قلنا من بعض الآيات التى ظاهرها هذا ، ويأخذون أيضـا هـذا الحديث دليلا على ذلك ، وليس لهم فيه دليل كما سنبـيـنه .

معجزات النبى صلى الله عليه وسلم المادية من أشهر المعجزات وهى من اثبت المعجزات سندا ، على أن معجزات الانبيـاء السابقين لم تثبت لنا بدليل متصل قطعا كما قال ابن حزم ، فان سند الاديان الاخرى كله منقطع ولا يثبت الا بسندنا نحن ، أى بتزكية القرآن لها ، فلولا ان القرآن ذكرها لما آمنا بها لان ما بيدهم من الكتـب محـرف ومغير ومرت عليه عصور وقرون ، ثم بعد ذلك استكشف أو كتـب ولم يكن كما كان أولا ، فدليلها هو القرآن ، فالعجب اننـا نستدل بالقرآن عليها ولا نستدل بالقرآن على معجزات نبـينـا .

ونقتصر بالاشارة الى بعض معجزاته الواضحة الثابتة الظاهرة تعليما لمن يسمع لا لمن حضر ، فان من حضر من أهل العلم ولا يحتاجون الى تعليم ، فمن أعظم معجزات النبى صلى الله عليه وسلم الاسراء والمعراج ولا يستطيع أن ينكـر هذا مسلم وهى من اعظـم المعجزات

التى لم يوتها نبى ، فان عيسى عليه السلام فى اعتقاد النصارى انما رفع الى السماء بعد صلبه ، ونبينا صلى الله عليه وسلم كان قد صعد الى السماء وهو حي ورجع واخبر بما حصل لـــه فى تلـــك الرحلـــة السمـــاويـــة .

الدليل على الاسراء من القرآن سورة خاصة بهذه المعجزة يقول الله عز وجل فيها : « سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتـــنا » ، والدليـــل على المعراج قوله تعالى فى سورة النجم : « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفـــؤاد مـــا رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغـــى » والعجب ممن ينزل هذه الآيات على جبريل مع أن مـــا فيها كله يـــدل على ان المخاطب به بشر ، ولذلك نفى عنه سبحانه وتعالى أن يزيغ بصره وان يطغى واشياء أخرى من الآداب الربانيـــة التى أتـــاه الله اياها فى هذه المعجزة العظيمة فكيف نسكت عنها ؟ ومع ذلك فقد رويت بالاحاديث الصحيحة تفاصيلها وكيفيتها ، ولمـــا رجع وكذبتـــه قريش وقالوا له صف لنا المسجد الاقصى ، رفعه الله اليه حتى صار يـــراه عيانا ويصفه لهم ، وانتشرت هذه المعجزة فى الملل والنحل وفى الدنيا كلها حتى اقتبس منها الاجانب وحتى دخلت فى الاداب العالمية ، وكتب دانتى المشهور كتابه الكوميديا الالهية مقتبسا لهـــا من قصة الاسراء والمعراج لنبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد فضحه الراهب الاسبانى آسين بالأسيوس حيث كتب كتابا أثبت فيه أن الكوميديا الالهية مقتبسة تماما من كتب المسلمين ومن قصة الاسراء والمعراج بالذات وصـــار لا يكتب الآن احد عن دانتى وعن رائعته كما يسمونها الا ويذكر رأى آسين بالاسيوس ولكن هذا الجاحد مع كونه استفاد من الاسلام لـــم يقر بفضله عليه ولم يتأدب حتى الادب الذى يـــنـــبغى أن يكون عند البشر مع رجل عظيم فوضع النبى صلى الله عليه وسلم فى الجحيم — قبحه الله واخزاه — ، على كل حال هذه الاشياء ينبغى أن نشير لها

وان نعلمها لأولادنا وان نثبتها فى كتبنا فان النصارى يثـبـتون أقل من هـذا فى كتـبهـم .

ثانيا : معجزة انشقاق القمر ، فانها من أعظم المعجزات التى أوتيها النبى صلى الله عليه وسلم ، على اثـر طلب كفار مكـة من النبى صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر كما فى الصحيح ، فقـال : انظـروا قال عبد الله بن مسعود : رأيتـه فلقـا وراء الجبل وفلقـا دونـه .

ولا نكتفى بهذا الدليل فان القرآن قد اثبت هذه المعجزة والقرآن كما علمتم حجته لا ترد ، فقد قال سبحانه وتعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر » والمتعنتون الذين ينفونها يقولون : انشق القمـر أى ينشق لما تفنى الدنيا على حد قوله تعالى « أتى أمر الله » أى يأتى أمر الله ، فقد وضع فيه الماضى موضع المضارع ، لكن هنا لا يصح هذا لانه تعالى قال اقتربت الساعة وانشق القمر ثـم اعقبـه بقوله « وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » فلو كان الامر يتعلق بنهاية الدنيا وانشقاقه حينما تقوم القيامة لما كانت هنـاك فائـدة فى قوله : « وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » فانهم لمـا رأوها قالوا : هذا سحـر ، فهذا اثبـات لانشقاق القمـر بالقرآن وبالنص الذى لا يقبل الرد وكون القمر لم ير منشقا فى جهات أخرى من العالم دليل غير مقبول ولا ينهض حجة ، لان خسوفه مثلا لا يرى حينما يقع فى كثير من جهات العالم ، وكونه اذا وقع يمكن أن يختـل نظام العالم لا نذكره هنا ، ولا نتعرض له ، وان كانت له اجوبة كثيرة لأننا نتكلم الآن مع المليين ومـع المومنين ، المومنون هـم نحـن ، والمليون هم اصحاب الكتاب الذين يثبتون لأنبيائهم كثيرا من المعجزات من هذا القبيل ، وخالق القوى والقدر لا يعجزه أن يشق القمر وان يحفظ السماء والارض والكواكب بغير ما يحفظها به ، من هـــذه الجاذبية التى يقول بها العلم ومن يدرى انه شىء آخر غير الجاذبية لان غاية ما هناك انه شىء استكشف أو اطلع عليه فيما يقال ويمكن ان يكون غيره « ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئـن

زالتا ان امسكهما من احد من بعده » ـ وآيته صلى الله عليه وسلم ومعجزاته من غير ذلك فى الاحاديث كحنين الجذع لما فارقـه ، وكان يخطب اليه وكسلام الحجر عليه (اني لأعرف حجرا فى مكة كان يسلم علي) وكسعي الاشجار له ، وكنبع الماء من بين اصابعه ، كلهـا تواردت بها الاحاديث الصحيحة حتى ان علماءنا صاروا يقارنون بين معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ومعجزات الانبيـاء السابقين ويرجحون هذه ، ومن ذلك قول القائـل :

وكل معجزة للرسل قـد سلفت ... وافى باعجب منهـا عند اظهار

فما العصا حية تسعى باعجب من ... شكوى البعير ولا من نطق احجار

ولا انفجار معين الماء من حجر ... كسلسبيل غدا (1) من كفه جار

فان الحجر معتاد منه أن ينشق بالمـاء « وان من الحجارة لمـا يتفجر منه الانهار » ولا كذلك أصابع اليد . وقال الآخر :

ان كان موسى سقى الاسبـاط من حـجـر
فان فى الكـف معنـى ليـس فى الحـجـر

فالحقيقة ان معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام المادية كثـيرة وهى شيء ثابت ، لكنا نتجاوزها جداً للغيبـيات كأنما غير مومنـين ونعود لقوله صلى الله عليه وسلم « وانما كان الذى أوتيت وحيـا أوحاه الله الي » لنبين كيف وقع الحصر هنا هذا الموقع ؟ فهـو ليس نفيـا للمعجزات الاخرى لأن الثابت لا ينفى ، واذن فمـا معنـاه ؟

هذا الكلام واقع أولا موقع ما يسمى فى علـم البديـع بتعقيب المدح بما يشبه الذم ، نمدح ثم نأتى بكلام ظاهره يوهم انـنا سنأتى بذم ولكن فى الواقع هو مدح ، وذلك كما فى قول الشاعر ·

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

(1) أى سـال .

لا عيب فيهم أى فى هؤلاء القوم الذين يمدحهم الشاعر ، لكنه لما قال غير ، تشوفنا وظننا انه سيأتى بشىء يذمهم به أو شىء يخل بهذا المدح الذى مدحهم به ويثبت لهم بعض العيب بعد أن نفى عنهم العيب كله ، فحين قال : غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب علمنا أنه زاد هذا المدح تأكيداً لان وصف سيوفهم بأنها مفللة . أى مفرومة كما نقول بالعامية أى فيها تثلم وتهشم من كثرة القتال لأعدائهم ، ليس عيبا وانما هو زيادة فى المدح ، ولا سيما عند العرب الذين يتمدحون بالشجاعة ، فهذا هو ما يسمى بتعقيب المدح بما يشبه الذم .

هنا أيضا : ما من الانبياء نبى الا أوتى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه الله الي ، أى لكن ما أوحاه الله الي هو شىء أيضا يؤيد المعجزات التى أوتيتها من قبيل المعجزات التى أوتيها الانبياء ، وان كان الكلام فى القصر اولى ، فالقصر كما هو مقرر فى محله يكون قصرا اضافيا ويكون قصرا حقيقيا فالقصر الحقيقى هو الذى ينفي غير الصفات التى تثبت للشخص ، فاذا قلنا : وانما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه الله الي يكون نفيا لجميع الآيات الاخرى وهذا ليس بالمراد هنا ، والقصر الاضافى هو الذى يكون نفيا بالنسبة وبالاضافة والاعتبار أى أن هذا الذى أوحاه الله الي هو اعظم الآيات واعظم المعجزات ، فكأنه هو المعجزة الحقيقية التى أوتيت وان كانت المعجزات الاخرى التى أوتيت ليست فى طي العدم ، أو يكون على سبيل الادعاء فيكون حينئذ حقيقيا ، فهناك نوع من القصر يسمى القصر الحقيقى الادعائى بحيث نغض الطرف عن جميع الصفات وعن جميع الاشياء التى يأتى القصر بعدها وتدخل فى حيز النفى ادعاء ونأتى بالصفة الاخرى وذلك على سبيل المبالغة ، فهنا أيضا لنقرر هذا نقول : ان تلك المعجزات الاخرى حيث ان دلالاتها محدودة ومقصورة على العصر الذى وقعت فيه وعلى المكان الذى وقعت فيه وعلى الاقوام الذين رأوها ، فانها لا تعد شيئا بالنسبة للمعجزة الكبرى التى جاء بها صلى الله عليه وسلم ، وهى باقية ومستمرة على مدى العصور والازمان ، فيكون القصر حينئذ حقيقيا ادعائيا باعتبار ان تلك الاشياء ليست لها هذه القوة ، وباعتبار انه قصر

اضافى فهو كذلك ايضا صحيح ويكون ذلك القصر فى محله ، وهو من العبارات التى اعتبر فيها وروعى فيها هذا المعنى البلاغى تنويهـــا بالقرآن وتعظيما له ، ورفعة لقدره وشأنه ، ناهيك بأنه وحي من الله سبحانه وتعالى ، ناهيك بأنه كتاب الله ، ناهيـك بأنـه كـلام الله تـبـارك وتعـالـى .

كتـاب الله اعظـم كـل قيـل رواه المصطفى عن جبـرئيـل

عن اللـوح المحيـط بكل شيء عن القـلم الرفيع عن الجليـل

وأى كتاب يوصف بهذه الصفة وأى آية يكون لها هذا النعـت رواه المصطفى عن جبرئيل وجبرئيل رواه عن اللوح المحفوظ واللـوح المحفوظ رواه عن القلم الرفيع والقلم الرفيع عن الله سبحانه وتعالى باملائه ، هذا شيء عظيم جدا ، فلذلك حسن ان يقال « وانمـا كان الذى أوتيت وحيـا أوحـاه الله الي » .

والوحى لا نحتاج أن نتكلم عليه لانه معروف عندنـا ، ومعروف عند الاجانب أيضا ، فان التفسير الذى يفسره به المسيحيون لا يختلف عن التفسير الذى نفسره به نحن من الرؤيا الصادقة للنبى ومن الالقاء فى روعه ومن مخاطبة الله سبحانه وتعالى . . . الى آخره ، كمـا فى مقدمة فهرس الكتاب المقـدس .

لا يهمنا تفسير المسيحيين وانما ذكره على سبيل الاستيناس ، انما يهمنا ان الوحى هو القاء من الله سبحانه وتعالى للنبى صلى الله عليه وسلم وهو خاص هنا بالكتاب العزيز ولا شـك ، لانه جـاء فى سياق الاعجاز ، والاعجاز انما كان بالقرآن ، لكن السنة هى أيضـا وحى اليه صلى الله عليه وسلم منه سبحانه وتعالى لأنها بيان للقرآن ، قال الله تعالى : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس » والتبيين هنا وان اسنده النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الله بدليل قوله فى الآيـة الاخرى « لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فـاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينـا بيانـه » فالله سبحانه وتعالى الذى

يبينه له ، وقال فى الآية الاخرى الجامعة « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » لكن الفرق بينهما أن هذا كلام الله نزل بهـــذه الصفة وبهذا النعت لم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم فيه لفـــظ ولا تعبير ولا غير ذلك وهو معجزة ومتحدى بـــه ، والسنـــة ليســت كذلك فقد فرق بينهما علماؤنا بهذا ، فالسنة وان كانت حجـــة أيضــا للنبى صلى الله عليه وسلم ، لاكنها فى طريق البيان تأتى بعد القرآن وهى المرتبة الثانية فى البلاغة وفى الاحكام والحكم والاسرار ومحاسن الدين والاخبار عن الامم الماضية والاخبار بالمغيبات ومـــا الى ذلـــك مما احتواه القرآن ، هى أيضا سجل طافح بذلك ، ومن يقرؤها وحدها يعلم يقينا انها من تلقين الله سبحانه وتعالى ، ولذلك نقول مع القائل :

وما شرب الايمان الا فؤاد من بأخبار خير الخلق قد ملأ الأذنـــا

فمن أراد أن يزيد ايمانه ويقوى فليلازم كتـــب السنـــة وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فانه سينغرس الايمان فى نفســـــه وسيشرب حبه فى قلبه بقوة عجيبة ، على كل حال .

قـــولـــه عليـــه الســـلام « وانـــمـــا كـــان الـــذى أوتيـــت وحـــيـــا أوحـــاه اللـــه الـــي » المـــقـــصـــود بـــــه هـــنـــا الكتاب العزيز الذى به التحدى والذى هو المعجز والذى هو الآيـــــة العظمى للنبى صلى الله عليه وسلم الدائمة المستمرة التى قال فيها الامام البوصيرى رحمه الله :

دامت لدينـــا ففاقت كل معجزة من النبـــيئين اذ جاءت ولم تـــدم

هذا القرآن زيادة على كونه معجزاً ، له اعجاز آخر هو انـــه باق ومستمر لاجل أن تبقى رسالة النبى صلى الله عليه وسلم هـــي الخاتمة لا يأتى بعده رسول ، فهذا الانسجام وهذه الموافقة عظيمـــة جدا بل معجزة لان النبى صلى الله عليه وسلم ادعى انه خاتم الانبياء والمرسلين وهاهو يثبت هذه الختمية بحجة وبيقين وبدليل وبمعجزة ، هى القرآن ، فالقرآن مايزال لحد الآن يثبـــت نبـــوة النبى صلى الله عليه وسلم ورسالته وانه خاتم الانبياء والمرسلين ، وفعلا لم يـــأت نبى بعده الا ما نعرف من الزيوف وما يزال الاجانب والاغراب عـــن

القرآن وعن اللغة العربية وعن الاسلام يؤمنون بسبب القرآن ، فلو كانت الآيات الاخرى التى أعطيها الانبياء واعطى مثلها النبى صلى الله عليه وسلم أيضا ، هى وحدها التى أوتيها النبى صلى الله عليه وسلم لوقع بعض التوقف فى كونه خاتم الانبياء ، لان هذه الختمية لا بد ان تكون معها دلالة وحجة وبعبارة أخرى لا بد لها من المعجزة التى تثبتها وليس هناك من معجزة الا القرآن ، والقرآن تحدى العرب كما يعلم الجميع بفصاحته وبلاغته لان العرب كانوا أهل فصاحة وأهل بلاغة وقد عجزوا عن أن يعارضوه وعن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بأقصر سورة منه ، وذلك دليل على انه لم يعرفوا له نظيراً ، وهو فعلا لا يعرف له نظير لحد الآن — فقد كتب الكتاب ونظم الشعراء وألف المؤلفون بيانا وشعرا وحكمة وما الى ذلك ، وبقى أسلوب القرآن متميزا عن جميع هذه الاشياء ، وقد أراد بعض المتنطعين أن يعارض القرآن ، فلما قرأ قوله سبحانه وتعالى « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين » ، هنا كل وعجز وقال هذا لا يعارض ، وقال الاصمعى سمعت جارية سداسية أو خماسية تقول :

استغفر الله لذنبي كله   قتلت انسانا بغير حله

مثل غزال ناعم فى دله   وانتصف الليل ولم أصله

فقال لها قاتلك الله ما افصحك ، فقالت له : يا شيخ أتعد هذا فصاحة بجانب قوله تعالى : « وأوحينا الى أم موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » .

فجمع بين أمرين ونهيين وبشارتين فى آية واحدة فانظر الى هذا الادراك الدقيق الذى أدركته هذه الفتاة ومعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة النجم على كفار قريش لم يملكوا الا أن سجدوا عندما قال : « فاسجدوا لله واعبدوا » ولم يكونو مومنين وانما سحرتهم بلاغة القرآن واعجازه والكلام فى هذا يطول .

ولا يزال القرآن من ناحية البلاغة معجزا لحد اليوم ، والدليل على ذلك فى نظرنا نسوقه باختصار وهو عجز التراجمة ، اطلاقا فى جميع اللغات عن ترجمة القرآن ترجمة لفظيـــة كما هـــو ، وكلهـم يكتبون ان القرآن لا يصلح أن يترجم واننا حينما نترجم معانيه نفقـد معظم بلاغته ومعظم اعجازه ومعظم روعته ، شهادة كهذه دليل على ان بلاغة القرآن تعجز حتى علماء هذا العصر الذى بلغت فيه اساليب الكلام واللغة والفلسفة والحكمة هذا المبلغ المشهود .

هذا من جهة ومن جهة اخرى ، فان من اعجاز القرآن بقـــاؤه كما هو واننا نستدل على بقـــاء القرآن ودوامه ، بأنـــه كلام الله ، وكلام الله صفة من صفاته ، واجب لها البقاء ، كما هو واجب لذاته سبحانه وتعالى ، فهذا سر من أسرار اعجاز القرآن ، ومن ثم قال بعض المستشرقين : لقد اصاب المسلمون ، فى وصفهم القرآن بـــأنه كلام الله ، فانهم وضعوا بينه وبين التغيير والتحريف سورا من حديد ، وفعلا هو كلام الله ، فالمسلمون لم يقولـــوا ذلك من عند أنفسهم ، بل هو كلام الله ، نحس بذلك احساسا لا يصح أن يوصف ولا نقدر أن نصف كيف هو كلام الله ، لكنك حينما تأخذ المصحف ، وتتلو منه ما شئت ، فانك ترى فيه هذه العظمة التى لا نهايـــة لهـــا ، والتى ليست هى الا عظمة كلام الله الذى لا يأتيـــه الباطل من بين يديـــه ولا من خلفه ، ولا تفنى عجائبه ولا يحاط بمعانيه ، ولا يلحقه تغيير ، ولا تحريف ، ونلمع الى أدلة أخرى على أن القرآن كلام الله :

أولا : نفس القرآن ليس نفسا بشريا ، حينما تقرؤه تجده يعبر عن الذات العلية وكل كلام يعبر عن صاحبه ، فاننا فى بعض الاحيان ، نعرف صاحب الكلام من كلامه ، ولكن القـــرآن حينـــما تقـــرؤه أول ما تجد فيه انه ليس كلام سيدنـــا محمد صلى الله عليـــه وسلـــم ، بل هو كلام الله سبحانه وتعالى ، لما يعبر عنه من مظاهر الجـــلال والجمال الالهين العظيمين ، اللذين ليس لغير الله كائنا من كـــان شىء منهما ، « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » هذا كلام عظيـــم لا يصح ان ينسب لنبى ولا لملك ، الا لله ، « ولو تقول علينـــا بعض

الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من احد عنه حاجزين » هذا كلام لا يصح أن ينسب للنبى (ص) بل هو كلام العزيز الجبار — هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو الاه واحد ، وليذكر أولوا الالباب » .

والكثير الذى لا نستحضره الآن مما يدل على أن نفس القرآن ، ليس نفسا بشريا ، بل هو نفس الاهى عظيم .

ثانيا : اسلوب القرآن ليس اسلوب السنة ، فان العلماء قالوا : ان اسلوب السنة ، هو الدرجة الثانية فى البلاغة ، وان كانت بلاغة النبى صلى الله عليه وسلم ايضا لا تدرك ولكنها بالنسبة للقرآن لا مقارنة بينهما والقرآن ليس بشعر ، فلا تقول : ان اسلوبه شعر وليس بنثر ، فلا تقول : انه نثر ولا بسجع ، فلا تقول انه سجع ، وانما هو قرآن كما قال احد كبار ادباء العصر : انما هو القرآن ، لا يعبر عنه بشىء آخر الا بالقرآن ، ثالثا — القرآن زاد على ذلك شيئا آخر وهو فى نظرنا المعجزة الثانية بعد الفصاحة والبلاغة أعنى الناحية العلمية ، ففى القرآن لمحات علمية ، غريبة جدا تستغرب من العلماء فى ذلك الوقت فأحرى من بلاد أمية ، ليس فيها مدرسة ولا تعليم ، ولا حتى كتاب واحد ، فيأتى فيه « ألم ير الذين كفروا ان السموات والارض ، كانتا رتقا ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شىء حى » .

ونقرأ فيه « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » ، ونقرأ فيه : « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » . ونقرأ فيه « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » . الى غير ذلك من الآيات التى تتوافق والحقائق العلمية التى انما ثبتت الآن ولم تكن معروفة فى حين نزول القرآن . واذكر هنا أن اميرال احدى السفن الحربية لاحدى الدول العظمى ، كان يقود هذه السفينة فى بحر الشمال فى ليلة عاصفة مظلمة جدا ، وكانت الامواج تتلاعب بهذه السفينة وهو فى حالة

شديدة من الاضطراب وعنده فى مقصورته مكتبة صغيرة فمد يده فأخذ واحدا منها ، فكان القرآن العظيم ، فلما فتحه لم تقع عينه الا على قوله تعالى : « أو كظلمات فى بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا اخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » فقال كيف يصف محمد البحر هذا الوصف الذى أعجز أنا أن أصفه فى حالتى هذه ، وهو لم يركب البحر قط ؟ هذا ليس من كلام البشر ، فهذه الناحية العلمية فى القرآن ناحية عظيمة جدا ، وهى تعطينا دليلا آخر على أنه من عند الله سبحانه وتعالى ، ولا أقول ان الكتاب العزيز هو كتاب علم بالمعنى الحديث كما يعبرون عنه ، لا ليس هذا مقصودى بل المقصود ان الكتاب العزيز ليس فيه شىء يعارض ، ما ثبت فى العلوم الحديثة وليس من شأنه ان يتعرض لهذا ، ولكن الكلام لا بد ان يأتى فيه لمحات تشير الى الاشياء والكون والخليقة ، فاشارات القرآن فى هذا الباب توافق تمام الموافقة الحقائق العلمية الثابتة ، وهذا كاف . وان كان القرآن أتى بأعظم من هذا ، فان هذه العلوم وهذه الفنون فائدتها فى تدبير أمور الحياة ، ولكن السعادة سعادة الدارين ، سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، هى العلم الذى أتى به القرآن ، وهذا اعظم من كل شىء :

مراد كتاب الله جذب قلوبنا — الى حضرة القدوس والزهو فى الدنيا

رابعا — وثم ناحية أخرى أتى بها القرآن ، ولها أهمية عظيمة جدا فى اثبات انه من عند الله ، وهى ان القرآن صحح اغلاط الكتب السابقة والاديان السماوية المحرفة ولهذا جاء ، فان الاديان يأتى بعضها عقب بعض لتصحيح ما وقع فيه بعض اتباع الاديان من الاغلاط ، والقرآن جاء لتصحيح الاغلاط التى وقعت فيها النصرانية واليهودية والاديان الكتابية قبلهما ، والغريب فى ذلك أنه أتى ببعض الجزئيات التى تغبر فى وجوه الذين يقولون ان محمدا تلقى كتابه من بعض الاحبار والرهبان ، كيف وهو يصحح اخطاء ما يسمى بالتوراة والانجيل أو بالعهد القديم والعهد الجديد ومن أين له ذلك ان لم يكن من عند الله ، مثلا قصة تبنى موسى عليه السلام الواردة فى قوله

تعالى : « فألقه فى اليم » الآية ، فهو فى التوراة أى التبنى منسوب الى ابنة فرعون ، وفى القرآن الى امرأة فرعون آسية وهذا هو المعقول ، وفى التوراة نسبة صنع العجل الى سيدنا هارون وحاشاه عليه السلام من ذلك وفى القرآن نسبته الى السامرى وهذا هو الصحيح ، وفى القرآن تغليط النصارى فى عقيدة التثليث وتسفيه آرائهم فى ذلك ، وابطالها بما لا مزيد عليه من الادلة والحجج حتى صارت منتشرة فى الدنيا ، وحتى صار النصارى أنفسهم يعتقدون بالثلاثة ويقولون هم بمثابة واحد ، وكان تأثير القرآن فى هذا الصدد ان تفرقت الديانات المسيحية الى قسمين ، وقام المصلحون المشهورون بالبروتستانت بالاصلاح الذى ادخلوه على الديانة المسيحية تأثرا بما جاء به القرآن .

بعد هذا كله نرجع الى الفقرة الاخيرة من الحديث التى يقول فيها النبى صلى الله عليه وسلم وهى أيضا معجزة عظيمة — فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة — فهذا الكلام مسبب ومرتب على ما قبله ، ومفاده لما كان ما أوتيه (ص) وحيا أوحاه الله اليه وهو قرآن خالد باق مستمر الى يوم القيامة فهو يرجو أن يكون من يتبعه من الناس ومن يومن به أكثر مما تبع كل رسول وكل نبى ، وهذا شىء غريب جدا يقوله النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة أو فى الحجاز ، لجماعة تعد ببضعة آلاف من الناس فيتحقق ذلك ويصير أمرا واقعا لا مرية فيه ولم يمر على الاسلام الا بضعة عقود من السنين ، فبعد أربعين سنة من الهجرة صار الاسلام منتشرا فى الدنيا كلها تقريبا ، وبقى منتشرا الى الآن وهو الآن منتشر اكثر من كل دين واليك التعداد ، فان المسلمين كما تعلمون يتراوحون الآن بين ثمانمائة مليون أو مليار من الملايين وليس هناك من اتباع الاديان من يبلغ هذا العدد . النصارى أكثرهم ملحدون منهم من ألحد بالشيوعية ومنهم من ألحد بالتفكير الحر أو ما الى ذلك مما هو معروف ، فالنصارى الحقيقيون قلة ، الديانتان الكبيرتان بعد النصرانية هما : البوذية والبراهمية ، البوذية صارت شيوعية والبراهمة منقسمة على نفسها ومع ذلك فهى تصل الى خمسمائة أو ستمائة مليون فقط فالمسلمون

أكثر وهذا اذا نظرنا الى الامر من خارج ، أما اذا نظرنا اليه من داخل أى من المنظور الاسلامى فاننا نقول : ليس من هذه الاديان دين صحيح ، فان المسيحية باطلة قطعا ، وما انتشرت الا بعد أن بطلت فلما كانت مسيحية حقيقية كما أتى بها سيدنا عيسى كان اتباعها قلة ، لكن لما تسلط عليها قسطنطين وبدل فيها وغير واستغلها وأدخلها الى أروبا دخلت بالتغيير الذى حدث فيها وهو عقيدة التثليث وما الى ذلك ، فمن ذلك الوقت لم تكن مسيحية بالمنظور الاسلامى واليهودية لا نشك فى أنها ليست دينا صحيحا بالمنظور الاسلامى فانها لم تومن بعيسى عليه الصلاة والسلام ، وبقية الاديان هى أديان وثنية . ويدلنا على ذلك القرآن العزيز ، فقد قال تعالى « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب » ففى اليوم الآخر يوم القيامة يتبرأ المتبعون وهم الانبياء عليهم الصلوات والسلام ، من هؤلاء الذين يتبعونهم — ويقول الذين اتبعوهم لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا » الآية ، وبخصوص سيدنا عيسى قال الله تعالى « اذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن اقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم » الآية بنص القرآن النبى صلى الله عليه وسلم أكثر الامم اتباعا بدون شك ولا ريب ويصدق على هذا ايضا قوله تعالى « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » فالاسلام ظاهر والحمد لله على الدين كله ، ولا بأس بما يقع من المخالفات أو ما يقع من المسلمين من الذنوب ، فالذنوب الى الغفران كما هو معروف وفى الحديث : (يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب مع كل واحد من السبعين ألفا سبعون ألفا) وهذا قدر عظيم زاد النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعد ذلك : (وحثيات من حثيات ربى) ، والحثيات جمع حثية والحثية هى الحفنة أى القبضة ، فقبضة من قبضات الله تعالى تشمل الجميع ، ناهيكم فيما قال تعالى : « وما قدروا الله حق قدره » والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » ، وفى الصحيح

أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، قلنا : بلى يـــا رسول الله ، قال : اما ترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : فسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون فى الكفار الا كشعرة بيضاء فى ثوب أسود أو شعرة سوداء فى ثوب أبيـــض وهذا منـــتهى الفضل جعلنا الله سبحانه وتعالى ممن يعمهم هذا الفضل ولا حرمنا الله تعالى من هذا العطاء الكريم ونرفع أكف الضراعة والابتهال الى الكبير المتعال بأن يديم جلالة مولانا أمير المؤمنين ويسبغ عليه نعمـــة الصحة والعافية ويمده بالنصر والعز والتمكين والتأييـــد فى هـــــذه المعركة العظيمة التى يقودها معركة الصحراء ، ويحرر الصحـــــراء وجميع الاجزاء المغتصبة من وطننا العزيز على يده وبذلك تتم الوحدة الترابية للوطن ويوالى المغرب مسيرته الى النمو والازدهار بقيـــادة جلالته أدام الله عزه ونصره واعلى أمره وأقر عينـــيه بالامير المحبوب ولى العهد سيدى محمد وبصنوه الامير الواعد مولاى الرشيد وانزل سحائب الرحمة والغفران على ضريح مولانا الامام بطـــل العروبـــة والاسلام سيدى محمد الخامس وجزاه عنا أفضل الجزاء ، جـــزاء الملك المؤمن المحسن الصالح المصلح عن أمته ، انه سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ، « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينـــا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنـــا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنـــا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » والختم من مولانا أمير المؤمنين .